
الفصل الثالث :

رعاية الإسلام للطفل والأسرة

- اهتمام الإسلام بالطفل .
- ظاهرة العائل الوحيد للأسرة .
- تربية النشء على الفروسية .
- التحديات الراهنة التي تواجه الأسرة المسلمة .

1871

1872

1873

1874

1875

1876

1877

الفصل الثالث :

رعاية الإسلام للطفل والأسرة

اهتمام الإسلام بالطفل :

يهتم إسلامنا الحنيف بالإنسان اهتمامًا بالغًا، منذ نعومة أظفاره وحتى مماته، بل إن الرعاية الإسلامية تتناول الطفل قبل أن يولد، عن طريق التوصية باختيار الزوجة الصالحة ذات الدين والأصل والخلق، ذلك لأن "العرق دساس" كما يوصي الهدي الإسلامي بالابتعاد عن زواج الأقارب حتى لا يضمّر النسل المتعاقب. ولقد أثبت العلم الحديث صحة هذا الافتراض العلمي، وتبين فضل السبق لإسلامنا الحنيف بالوعي بالطبيعة الإنسانية ومكوناتها والعوامل المؤثرة فيها. فعن طريق زواج الأقارب تنتقل الأمراض الوراثية من الآباء إلى الذرية، كذلك فإن الاستعدادات الضعيفة تتركز لدى الطرفين وتتفاقم حال تجمعها من الأب والأم في الذرية. وإن كان ذلك ينطبق أيضًا على السمات والخصائص الإيجابية، حيث تتجمع من الطرفين. ولكن الوضع المثالي في الشخصية هو التكامل والتناسق بين عناصر الشخصية وليس التفوق الزائد في جانب ما والضعف الشديد في جانب آخر.

ويوصي إسلامنا الحنيف توصية إنسانية بالعطف على الأم أثناء فترة الحمل، ويدعو إلى رعايتها من القسوة أو الشدة أو الصرامة في المعاملة أو تعريضها للإهمال والنبذ أو الحرمان من التغذية الجيدة، "فالنساء" هم شقائق "الرجال" ويوصينا إسلامنا الخالد بهن خيرًا.

ولقد جعل إسلامنا قوام العلاقات الزوجية المودة والرحمة والشفقة والسكينة والاطمئنان والاستقرار وينعكس ذلك على الأطفال وفي هذا المقال المتواضع إشارة لجوانب عناية الإسلام بالطفل والطفولة وذلك لأن طفل اليوم هو رجل الغد.

يوجه إسلامنا الحنيف كثيرًا من وجوه الرعاية والعناية والاهتمام للطفولة ، بحيث يشب الطفل سويًا متكيفًا ومواطنًا صالحًا مؤمنًا بربه وعروبته ووطنه ، متكيفًا مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه .

من ذلك الدعوة إلى معاملة الأب لجميع أبنائه على قدم المساواة حتى لا تتأثر نفسية من يقع عليهم ظلم أو أجور ، ويشعرون بالحقد والحسد والغيرة من أشقائهم إذا نالوا امتيازًا عنهم . ومن شأن غرس قيمة المساواة في نفس الطفل أن يشب عليها في الكبر ، وأن يعامل غيره أيضًا على قدم المساواة . والقيم الأخلاقية شأنها شأن النبات والحيوان تنمو وتزدهر وترعرع في النفوس . فعن النعمان بن البشير رضي الله عنهما أن أباه أتى رسول الله ﷺ فقال : إني نحللت ابني هذا غلامًا كان لي ، فقال رسول الله ﷺ : أكل ولدك نحلته مثل هذا ؟ فقال لا . فقال رسول الله ﷺ فأرجعه . وفي رواية فقال رسول الله ﷺ : أفعلت هذا بولدك كلهم ؟ قال : لا . قال : فلا تشهدني إذا فإني لا أشهد على جور . وفي رواية : أشهد على هذا غيري ، ثم قال : أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء ؟ فقال : بلى ، قال : فلا إذا « متفق عليه .

وبالطبع ينسحب مثال العدل في الهبة والعطايا على جميع تعاملاتنا مع أبنائنا بل مع جميع أبناء المجتمع الإسلامي كله .

فالعدل والمساواة من القيم الأخلاقية والإنسانية النبيلة التي يتعين أن يتمسك بها المسلمون في شتى بقاع الأرض وخاصة في عهد زاد فيه جور القوة البطاشة والظلم والافتراء من قبل القوى الكبرى الغاشمة على الإسلام والمسلمين . ويربي الإسلام أبناءه ، منذ نعومة أظفارهم ، على تحمل المسؤولية والشعور بها كل بحسب قدراته وإمكاناته ونطاق عمله ، ابتداءً من الطفل والزوجة والزوج والعبد والوالي ، فالكل يتعين أن يشعر بالمسؤولية وأن يتحملها ، وتلك من السمات والخصال والخلال الحميدة والتي نفتقر إليه في هذه الأيام بين الجميع صغارًا وكبارًا . فالتهرب من المسؤولية أو الخوف منها من سمات بعض رجال الإدارة في الوقت الراهن ، وحين يشعر الإنسان شعورًا داخليًا بالمسؤولية تجاه نفسه وأسرته ووطنه وإسلامه وعروبته ، فإنه يتحول إلى الإيجابية ، وينبذ السلبية والتراخي واللامبالاة والكسل والضعف والانهازم والاستسلام وخاصة أمام قوى البطش والطغيان .

فالرجال قوامون على النساء ، وعليهم مسؤولية حماية النساء كما في قوله تعالى :

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَلِحْنَ قَنِينَتْ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء / 23)

والقوامة المقررة شرعاً لا تعني التسلط أو القهر أو البطش أو الظلم أو التحكم أو الإذلال والتعسف ، وإنما تعني الحماية والرعاية والمسئولية الشرعية ، ولا بد وأن يكون للأسرة من ريان كالسفينة ، وإلا انقلبت المسألة إلى فوضى وضياح ، ولا يمكن تصور إن إسلامنا الحنيف يسمح بظلم المرأة ، ذلك لأنها إذا ظلمت فكيف تربي أجيال المسلمين الصاعدة على الحرية والمساواة والعدالة والإنصاف والحق والخير والجمال والشجاعة والإقدام والبطولة الإيجابية ؟ ذلك لأن فاقد الشيء لا يعطيه .

ويري الإسلام الأطفال في جو فيه التسامح والصفح والعتف والتعاون والأخذ والعطاء والمحبة والمودة والدفء والحنان ، وفي نفس الوقت جو أسري فيه انضباط وطاعة ، فعن رسولنا الكريم ﷺ قوله : « لا يجمل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه » رواه الإمام البخاري .

وطبعاً قد يتحجج بعض النسوة بأن هذا قريب وهذا نسيب أو ما أشبه ذلك من الأعذار غير المقبولة ويدخلون بعض الرجال في بيوتهم دون إذن الزوج ومن ذلك إدعاء الصداقة أو الزمالة في العمل أو الجيرة .

وفي المحيط الأسري الإسلامي الكل مسئول وراع في نطاقه لقول رسولنا الكريم ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيتيه ، والأمير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيتيه » رواه الإمام مسلم .

ظاهرة العائل الوحيد للأسرة :

وفي هذه الأيام كثرة ظاهرة العائل الوحيد في الأسرة ، حيث يهجر أحد الوالدين الأسرة ، ويترك الآخر يتحمل وحده مسئولية إعالة الأطفال وتربيتهم وحمايتهم وهو عبء ثقيل وفي ذلك هروب من المسئولية الشرعية والاجتماعية . وتزداد الحالة صعوبة إذا كان الزوج أجنبيًا وعاد إلى بلده وترك زوجته وأبنائه ، فإنها مازالت تجد صعوبة بالغة في منحهم الجنسية الوطنية ، وبذلك لا يتمتعون بحقوق التعليم المجاني وغيرها من الحقوق ، حيث

يعتبرهم المجتمع - ظلماً - من الأجانب وتجري الآن محاولات تشريعية لإنصاف هؤلاء الأمهات ومنح أبنائهن جنسية الأم .

ويحمي الإسلام الطفولة عن طريق تقرير حق الإنفاق عليهم على الأب بحسب يسره وعسره ، وذلك لقوله تعالى :

﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة / 233) .

لحماية الأطفال من التشرد والحرمان والضياع ، ومن ثم الانخراط في برائن الجريمة والجنوح والانحراف أو الإدمان . وللحماية من تلك الظاهرة التي انتشرت في الأيام الأخيرة عُرفت باسم "ظاهرة أطفال الشوارع" وهم الأطفال الذين يعيشون بلا مأوى . ولحسن الطالع نحمد الله أن هناك محاولات جادة في هذه الأيام لحماية هؤلاء وتوفير المأوى المناسب لهم وحمايتهم عن طريق تدخل المجتمع .

ويدعو الإسلام للإنفاق على الأطفال كل بحسب قدراته المالية لقوله تعالى :

﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۗ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَنَهَا ﴾ (الطلاق / 7) .

فالإسلام يكفل حماية الأطفال وتربيتهم تربية صالحة ، ويدعو إلى الإنفاق في وجوه الخير ، وليس هناك أكثر فضلاً عن الإنفاق على الأهل والأبناء وسائر الأقارب ، تحقيقاً للتماسك الأسري وصوناً لصلة الرحم التي يدعونا الإسلام للتمسك بها وتقويتها . ولقد جاء في الهدي القرآني الخالد :

﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ (سبأ / 39) .

وفي بيان فضل ما ينفقه المرء على أهله يقول الحديث النبوي الشريف : « دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك » رواه الإمام مسلم .

ويدعو الإسلام إلى تعميم الخير والنفع والصدقة لقول رسولنا الكريم ﷺ : « أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله » رواه الإمام مسلم .

وعندما يعطف الرجل على امرأته ، فإن جو العطف يسود الأسرة جميعاً وينعكس هذا العطف على بقية أعضاء الأسرة من أخوة وأبناء وأجداد . وفي العطف على الزوجة يقول الحديث النبوي الشريف : « إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في امرأتك » رواه الإمام مسلم .

ووفقاً لللهدي الإسلامي ، يفترض أن يسود جو العطف والشفقة والرحمة والعطاء والصدقة والبر والإحسان بين ربوع الأسرة الكبيرة والصغيرة . فعن أم سلمة رضي الله عنها قال : قلت يا رسول الله ؟ هل لي في بني أبي سلمة أجر أن أنفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا ، إنما هم بني ؟ فقال : نعم لك أجر ما أنفقت عليهم » رواه الإمام مسلم .
وقال رسول الله ﷺ : « إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحسبها فهي له صدقة » متفق عليه .
وقوله ﷺ : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت (أي من يعول) وفي رواية للإمام مسلم : « كفى بالمرء إثماً عمن يملك قوته » . وقوله ﷺ : « ما من يوم يصبح العبد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً » رواه الإمام مسلم .

الدعوة للإنفاق والكرم :

وفي الدعوة للجدود والكرم والسخاء والعطاء والإنفاق على الأهل وعلى سائر المسلمين يقول الرسول الكريم ﷺ : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، ومن يستعفف يعفه الله » رواه الإمام البخاري .
ويهتم إسلامنا الخالد بتربية الأطفال تربية شمولية متكاملة ومستمرة أو متصلة فيها التوازن والاعتدال والتوسط ، وإن كان فيها من تركيز فهو على القيم الروحية والدينية والأخلاقية والإيانية .

ولقد أوجب إسلامنا الحنيف رب الأسرة أو ربة الأسرة أن يربي أبنائه على طاعة الله تعالى وأن ينههم عن الفحشاء والمنكر والبغى والضلال والفساد والإهمال والاستهتار ، وحثهم على تأدية الصلاة ، وذلك بقوله تعالى :

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (طه / 132) .

وفي الصلاة كافة الفضائل الروحية والعقلية والنفسية والإيمانية والجسمية وفيها صلاح العباد وصلاح المجتمع برمته . وفي هذا المعنى البليغ يقول الهدي القرآني العظيم :

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (التحریم / 6) .

فالمسئولية مشتركة : الأب يقي نفسه ويقي أهله أو أفراد أسرته لأن الصلاح ينعكس أثره على أعضاء الأسرة ، ويمتد إشعاع الصلاح إلى المجتمع الخارجي كله .

ومن التعاليم الإسلامية العظيمة العفة أو التعفف وعدم الأكل إلا من الحلال الطيب ، فلقد روي عن الرسول ﷺ : « أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمر من تمر الصدقة فجعلها في فيه ، فقال رسول الله : « كخ كخ إرم بها ، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة ؟ » متفق عليه .

وفي رواية : « إنا لا تحمل لنا الصدقة » . فالأب مطالب بأن يزر ابنه عن المستقذرات من الأقوال والأفعال حتى يعرف الحلال والحرام والنصواب والخطأ منذ الصغر . ويعلم إسلامنا الأطفال آداب الطعام أو آداب المائدة على أحسن وأفضل وأرقى ما يمكن أن تقوم به حضارة ما .

يقول الرسول ﷺ : « يا غلام سم الله تعالى وكل بيمينك وكل مما يليك » .

وفي الدعوة لتعليم الأطفال الصلاة يقول الرسول الكريم ﷺ : « مروا أولادك بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشرة ، وفرقوا بينهم في المضاجع » رواه الإمام أبو داود . وفي رواية : « علموا الصبي الصلاة لسبع سنين ، واضربوها عليها ابن عشر سنين » وفي رواية : « مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين » .

والصلاة مدرسة جامعة في تربية الخلق والضمير والشعور وتنمية الإيثار وتقوية صلة الإنسان بخالقه العظيم فهي مناجاة روحية بين العبد وخالقه . وهي تنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي . وفيها حماية من انحراف الصغار وجنوحهم وتشردهم ، فهي خير عاصم من الذلل . وفي الدعوة للتفريق بين الأطفال في المضاجع حماية لهم من الشذوذ والعبث الجنسي أو الإثارة الجنسية .

ويحرم الإسلام على الأبناء العقوق والجنوح والجحود ونكران الجميل للآباء والأمهات وسائر الأقارب . فكما يدعو الإسلام الآباء والأمهات إلى الإنفاق على العيال والعطف عليهم وحميتهم وإشباع حاجاتهم ورعايتهم وحبهم وحسن تربيتهم وتنشئتهم ، كذلك يوصي الأبناء بالبر والإحسان إلى الآباء والأمهات .

فلقد حرم الإسلام الخالد العقوق وقطيعة الأرحام . كما في قوله تعالى :

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢) أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصْمَهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿ (محمد/ 22-23) .

فالمسلم منهي عن نشر الفساد في الأرض وعن الإساءة إلى أهله . ومن المؤسف أن الفساد أصبح من أكثر الظواهر انتشاراً في الوقت الراهن في كافة المجتمعات وإن كان يُشكل أشد خطورة في المجتمعات النامية وفي ظل الأنظمة الشمولية والحكومات العسكرية .
وقوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ (الرعد/ 25) .
وقوله تعالى أيضاً :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (٢٣) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴿ (الإسراء/ 23-24) .

ومما يؤسف له تفشي ظاهرة عقوق الأبناء ، وتطالعا الصحف بأبناء بائسهم يطردون آباءهم من منازلهم كي يتزوجوا في هذه المنزل ومنهم من يهجر آباءه ويدعي أنه مات منذ زمن بعيد بل منهم من يعتدي اعتداءً مادياً على الوالدين .

وعن رسولنا الكريم في تحريم العقوق وسائر الكبائر : الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس « وهو الكذب العمد . رواه الإمام البخاري .

وقول رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة قاطع » أي قاطع رحم . وقوله ﷺ : « إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعاً وهات ، ووأد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » رواه الإمام مسلم . فلقد كان من عادات الجاهلية دفن البنات أحياء ، وجاء نور الإسلام فمنع هذه العادة الذميمة . فالمسلم مدعو لعدم إضاعة المال أو تبذيره أو الإسراف والبذخ وصرفه في غير وجود الخير والنتف العام وإنما إنفاقه في مقاصد الدنيا والآخرة الصالحة . وينهي الإسلام الحنيف عن إيذاء الأطفال وخاصة الأيتام منهم ، تعبيراً عن الشفقة والرحمة والبر والإحسان والعطف والحب والحنان ، وهي من مبادئ الإسلام الأصيلة . وفي هذا يقول القرآن الكريم .

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ (الضحى / 9-10) .

تربية النشء على الفروسية :

ويدعونا الإسلام إلى ملاطفة اليتيم . ويدعو الإسلام لتربية النشء تربية صالحة وتعليمهم الفروسية وركوب الخيل والسباحة والرماية ، وفي ذلك قول رسولنا الكريم : « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » رواه الإمام مسلم . وقوله : « من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً وتصديقاً بوعده ، فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة » رواه الإمام البخاري .

فلقد روي أن رجلاً جاء للنبي ﷺ بناقة مخطومة فقال : هذه في سبيل الله ، فقال رسول الله : « لك بها يوم القيام سبعمائة ناقة كلها مخطومة » رواه الإمام مسلم . وفي الدعوة للقوة والاستعداد والتهيؤ قول رسولنا الكريم ﷺ : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي » رواه الإمام مسلم . وقوله تعالى في فضل تعلم الرماية : « من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو فقد عصى » رواه الإمام مسلم . وقوله كذلك : « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير ، والرامي به ، ومنبله ، وارموا واركبوا وإن ترموا أحب إلي من أن تركبوا ، ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبه عنه فإنها نعمة تركها ، أو قال : كفرها » رواه الإمام أبو داود . وقوله أيضاً ﷺ : « ارموا بني إسماعيل ، فإن أباكم كان رامياً » رواه الإمام البخاري . وقوله ﷺ : « من رمي بسهم في سبيل الله فهو عدل محررة » أي أن ثواب ذلك يُعادل تحرير رقبة .

ويربي الإسلام أبناءه على حب الجهاد في سبيل الله لقول رسولنا الكريم ﷺ : « من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » رواه الإمام مسلم . وقوله ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » رواه الإمام مسلم . وقوله في فضل الجهاد : « إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل » رواه الإمام أبو داود .

ويربي الإسلام أبناءه على حب القراءة وهي الطريق الأول لاكتساب العلم والمعرفة والثقافة والتفقه في الدين لقوله عز وجل :

﴿ أقرأك كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ (الإسراء / 14) .

وقوله عز وجل : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (العلق / 1) .

وقوله كذلك : ﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ (العلق / 3) .

والمسلم يتربى على حب الطاعة والالتزام والانضباط واحترام الشرع والقانون وولاية الأمور كما في قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ (آل عمران / 32) .

وقوله عز وجل :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (آل عمران / 132) .

وفي الدعوة لطاعة الله والرسول وأولى الأمر قوله عز وجل :

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (النساء / 59) .

وترتبط فضيلة الطاعة بفضيلة التقوى والصلاح كما في قوله عز وجل :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (الأنفال / 1) .

وقوله عز وجل :

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتَّبِعْتُمْ تَسْمِعُونَ ﴾ (الأنفال / 20) .

وفي التحذير من الانقسام والفرقة والخصام يقول عز وجل :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَنَزَّعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (الأنفال / 46) .

ولقد أثبت العلم الحديث أهمية الرضاعة الطبيعية وأثرها الجيد على صحة الطفل وحمايته من الإصابة بالأمراض وعلى صحة الأم أيضًا وحمايتها من الإصابة بسرطان الثدي إن هي رفضت إرضاع ابنها فضلاً عما تنطوي عليه عملية الرضاعة من شعور الطفل بالدفء والحب والحنان والعطف والترابط بينه وبين أمه ومن شعوره بالأمن والأمان والاطمئنان وهو في حجر أمه . ولقد كان لإسلامنا الحنيف فضل السبق في الدعوة لاستكمال فترة الرضاعة في عامين كاملين كما في قوله عز وجل .

﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْتًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَتْهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ (لقمان / 14) .

وكما في قوله تعالى أيضًا :

﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَّلَتْهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ (الأحقاف / 15) .

وحماية للطفل أمر الإسلام بفرض حقه في النفقة أي تقديم الطعام والكسوة والسكن له وذلك لقوله عز وجل .

﴿ وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (النساء / 5) .

وقول رسولنا الكريم ﷺ: « يقول الولد اطعمني إلى من تدعني » الإمام أحمد وذلك لحفظ حياة الطفل من طعام صالح وشراب طيب ولباس يقيه الحر والبرد وسكني للراحة والأمان والاستقرار . ويقدر ذلك بحسب يسار المنفق وإعساره وحال المنفق حضارة أو بدائة . ويقدر ذلك القاضي المسلم . وتسقط النفقة إذا بلغ الولد الذكر أو إذا تزوجت البنت وتستمر إذا كان الولد مريضاً . ويقضي الإسلام بحضانة الصغار للمحافظة على أبدانهم وعقولهم وأديانهم أي تربية الطفل جسدياً وعقلياً ونفسياً وأخلاقياً واجتماعياً وروحياً . (الجزائري ، أبو بكر جابر ، 1964 ، ص 446) .

وإلى جانب حضانة الطفل والإنفاق عليه فإن الإسلام حريص كل الحرص على تربية الطفل على الفضائل الأخلاقية الحميدة وعلى الآداب الإسلامية الأصيلة كالصبر والتقوى والورع والخشوع والإيثار وحب الخير وعلى العدل والإنصاف والمساواة وعلى التوسط والاعتدال والرحمة والشفقة والبر والإحسان والصدق والأمانة والوفاء والولاء والعرفان والسخاء والجود والكرم والتواضع والشجاعة والإقدام والبسالة والوطنية وحب العمل والإنتاج والإسهام في خير المجتمع ونفع البشرية .

المراجع :

- (1) القرآن الكريم .
- (2) صحيح الإمام مسلم .
- (3) صحيح الإمام البخاري .
- (4) صحيح الإمام الترمذي .
- (5) عبد الباقي ، محمد فؤاد ، (1981) ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت .
- (6) الشافعي ، محي الدين أبي زكريا ، يحيى بن شرف النووي ، (1970) ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ودار القلم ، بيروت ، لبنان .

رعاية الإسلام للأسرة

التحديات الراهنة التي تواجه الأسرة المسلمة :

تواجه الأسرة المسلمة ، في هذه الأيام ، كثيرًا من التحديات والتهديدات والضغوط التي يتعرض لها المجتمع العربي والمسلم في الوقت الحاضر . كالتهديد بالحروب المدمرة والاحتلال والغزو والهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية تحت شعارات العولمة أو إدعاء تغير الأنظمة الحاكمة أو بسط الديمقراطية . وتوجه أنظار الطامعين إلى ثروات البلاد ومواقعها ومراكزها الاستراتيجية بُغية الهيمنة على كل العالم بعد أن انهار الاتحاد السوفيتي وأصبح في العالم قطب واحد يريد الهيمنة والسيطرة والتسلط . بل إن هذا الخوف يمتد إلى الدول التي كانت حليفة تقليدية مع دولة القطب الواحد .

وتتخذ القوى المعادية للمجتمع ستارًا وراء الدعوة لتحرير المرأة من "عبودية" الرجل وفك أسرها ، وليس ذلك سوى الانتهاج لمبدأ "فرق تسد" لتمزيق أواصر الأسرة ، وفك عقلاها ، على اعتبار أن انهيار الأسرة وتفكك روابطها يؤديان إلى تفكك المجتمع وضعفه ، وبالتالي يمكن لقوى الشر والعدوان والسيطرة على المجتمع كله . ولقد أصبحت المرأة مستهدفة عن طريق تحريضها على التمرد والعصيان والمطالبة بمزيد من "الحرية" والسفور والتبرج والتفرنج وتقليد الغربيات وبالمطالبة بالطلاق أو الخلع أو اعتاء مناصب أخرى كالقضاء . ويستهدف أعداء الإسلام ذك أكبر معقل من معاقل الإسلام وأقوى حسن من حصونه وهو الأسرة المسلمة والعربية ، لفك روابطها ، وهز قيمها ومثلها ، ومعاييرها وأخلاقياتها وزعزعة ذلك السياج المقدس الذي تستند إليه روابطها فهي ، وإن كانت تقوم على أساس إبرام عقد شرعي بين الزوج والزوجة ، ولكنه عقد مقدس تباركه العناية الإلهية وتحيطه بالرعاية والحماية وهو ليس رباطاً بين فردين فقط ولكنه رباط اجتماعي بين أسرتين .

فالذين يريدون إضعاف المجتمع الإسلامي وجدوا في المرأة ضالتهن المنشودة ، فأخذوا في إشباعها تحريضًا ودسًا وإشعارها بالضجر والتبرم ، ووجدوا في ذلك بعض الجماعات النسائية ما يحقق لهم هذه الأغراض ، بعد أن غدقوا الأموال والهدايا والعطايا والمنح والسفر إلى أعضاء هذه الجمعيات النسائية والتي يُعد معظم عضواتها من العوانس أو المسترجلات أو من

الفاشلات في الحياة الزوجية . يريدون النيل من عضد المجتمع الإسلامي ، فوجدوا الأسرة وهي "الحضانة" التي يتربى بها الأجيال الصاعدة ، وأرادوا هز استقرارها وإثقال الأعباء على كاهلها حتى تنبؤ بها فتفسد ، وبذلك يفسد أعضاؤها وخاصة الأبناء الصغار والشبان .

ورعاية الإسلام للأسرة رعاية ، أولاً علمية ، وثانية رعاية شمولية وثالثة رعاية ممتدة ومستمرة ومتصلة من المهد إلى اللحد بل إنها تبدأ قبل تكوين الأسرة ، عن طريق ما يوجه للمسلم من نصح وإرشاد وهداية في اختيار الزوجة الصالحة المسلمة ذات الخلق والدين والأصل ، وفي ذلك يقول الحديث الشريف : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » . إشارة إلى انتقال الصفات والخصائص الوراثية من المرأة إلى الذرية . وكذلك الهدي الإسلامي في الابتعاد عن زواج الأقارب تحاشياً لتأثر الذرية بعوامل الضعف الوراثي أو الاستعدادات الوراثية المرضية التي توجد لدى الرجل والمرأة من أصحاب الوراثة الواحدة . فتظهر هذه العيوب بشكل متراكم ومكثف في الذرية .

ولقد أولى الإسلام للأسرة عناية عظيمة وأرسى لها قواعد أخلاقية وروحية وشرعية تكلف استقرارها وقوتها وتماسكها وتمكنها من أداء وظيفتها ورسالتها المقدسة . والأسرة هي الوحدة الأولى في تكوين المجتمع ، فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع برمته ، وإذا كانت قوية وتماسكة كان المجتمع قوياً وتماسكاً أيضاً . وإذا استطاعت أن تقوم بأعبائها بكفاءة واقتدار قام المجتمع أيضاً بدوره ورسالته فهي التي تُعد الرجال وتصنع الشباب الواعي والمؤمن والقوي .

ويهدي القرآن الكريم المسلمين بمجموعة من الأحكام التي تنظم معاشر الرجال والنساء ، من ذلك حكم الزنا وحكم قذف المحصنات أي المتزوجات من النساء وحكم اللعان وتحريم الإفك ودور المنافقين فيه والزجر عن إشاعة الفاحشة بين المؤمنين . والدعوة للاستئذان في الدخول للمنازل المسكونة ، وآداب الاختلاط بين المسلمين والمسلمات ، والحث على زواج العبيد والإماء والأمر بالعفاف أو العفة والتمسك بالشرف ، والحفاظ على العرض والنهي عن البغاء . وفي الدعوة للزواج من الإيامى وهي المرأة التي لا زوج لها سواء أكانت بكرًا أو ثيبًا ، والأمر بالعفاف بمعنى القول : زوجوا من لا زوج لها وغلمانكم وجواريتكم ، وأن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله كما في قوله تعالى :

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِعُ عَلِيمٌ ﴾ (النور / 32) .

فالإسلام يرغب أبناءه في الزواج وتكوين الأسرة ، والإشباع الحلال ، ولتزويد المجتمع الإسلامي بالرجال والنساء الصالحات للذود عنه في أوقات الشدائد كما هو الحال الآن . ويحث الرسول الكريم ﷺ الشباب المسلم على الزواج في قوله : « النكاح من سستي فمن أحب فطرنى فليستن بسستي » رواه الإمام مسلم .

وفي الدعوة للشباب للزواج وبيان فضله قال رسولنا الكريم ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » رواه الإمام البخاري .

ولقد حث الإسلام الآباء على تزويج بناتهم لما في الزواج من ستره الأئمة والحفاظ على عرضها وشرفها وعفتها ، إذ قال ﷺ : « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ، إلا تفعلوه تكن فتنه في الأرض وفساد كبير » رواه الإمام مسلم . فالأخلاق أساس اختيار الزوج الصالح . ودعا الرسول الكريم ﷺ لعدم الزواج من الشخص الفاسق لقوله : « من زوج كريمته من فاسق فقط قطع رحمه » رواه الإمام البخاري .

ولقد وضع رسولنا الكريم قواعد أخلاقية ودينية عظيمة لاختيار الزوجة الصالحة ، إذ قال : « تُنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » رواه الإمام مسلم .

فالدين أعظم معيار لاختيار الزوجة الصالحة وهو أعظم عاصم من الزلل ويحذر الإسلام من اختيار المرأة لمالها فقط ، كما في قوله ﷺ : « لا تزوجوا النساء لحسنهم فعسى حسنهن أن يردن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين » . (ابن ماجة وأورده المرسى كمال الدين عبد الغني 2002 : ص 5)

ويسمى القرآن الكريم عقد الزواج "ميثاقاً غليظاً" لبيان فضله ، وقداسته ولعدم الاستهانة به كما في قوله تعالى :

﴿ وَأَخَذَتِ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (النساء / 21) .

والعلاقة بين الزوجين علاقة بالغة الخصوصية والسرية ، فلا يجوز الإفصاح عن

أسرارها للغير ، كما تفعل بعض النسوة الموظفات في الوقت الحاضر حيث تحكي المرأة لزملائها وزميلاتها في العمل كل ما دار بينها وبين زوجها في الليل . فلا بد من الاهتمام بهدي القرآن الكريم في قوله :

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ (البقرة / 187) .

كما يدعو القرآن الكريم أن يكون قوام المعاشرة الزوجية هو المعاشرة بالمعروف :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (النساء / 19) .

ويضع الإسلام كثيرًا من الآداب والقواعد الأخلاقية في التعامل مع النساء من ذلك :

- (1) أن تقام وليمة عند الزواج . (2) حسن الخلق معهن .
- (3) أن تتخلل العلاقة قدر من المداعبة والملاطفة للبُعد عن جفاف الحياة .
- (4) ألا يتهاون الرجل في الدعابة بحيث تضع هيئته معها ولا يوافقها إلا فيما هو خير وصالح حتى لا تفسد أخلاقها .
- (5) التوسط والاعتدال في مشاعر الغيرة أو الشك وسوء الظن والتوسط والاعتدال في النفقة لقوله تعالى :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (الأعراف / 31) .

وقوله تعالى أيضًا :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾

(الإسراء / 29) .

- (6) أن يعلمها الصلاة ويحثها عليها ، وأن يعلم نفسه الحقائق التي تدور حول الحيض والنفاس والوضع وغير ذلك من أمور النساء حتى يتفهمها ويتعاون مع زوجته لقوله تعالى :
- ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (التحريم / 6) .

- (7) إن كان الزوج من متعددي الزوجات ، فعليه أن يتوخى أقصى درجة من درجات العدل في التعامل معهن جميعًا ويفضل الاكتفاء بواحدة .

(الموسي كمال الدين عبد الغني 2002 ، ص 16)

وعلى الأب أن يأمر أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى ، وعليه أن ينهاهم عن مخالفة الشرع ، وعليه تأديبهم ومنعهم من ارتكاب الذنوب والمعاصي والآثام ،

كما في الهدي القرآني الكريم :

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (طه / 132) .

فلقد أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرًا من تمر الصدقة فجعلها في فيه ، فقال رسول الله : « كخ كخ إرم بها ، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة ؟ » متفق عليه .

والأسرة في هذه الأيام تعاني من عدم طاعة الأبناء وتمردهم على سلطتها ، كذلك فإن كثرة الأعباء الملقاة على عاتق الأسرة العربية تجعلها عاجزة عن القيام بدورها في توفير الرعاية والإشراف والرقابة والتوجيه لسلوك أبنائها . وفي ضوء ضعف سلطان المدرسة أيضًا يصبح من الصعب السيطرة على سلوك الأبناء وضبطه ، ولذلك يخشى على أبناء الجيل الصاعد . ومن الآداب الإسلامية تعليم الطفل آداب المائدة كما في قول أبي حفص عمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد : ربيب رسول الله ﷺ : كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ ، وكانت يدي تطيش في الصحفة ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام سم الله تعالى ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » . فما زالت تلك طعمتي بعد « متفق عليه .

ويربي الإسلام العظيم جميع أفراد الأسرة ، كل حسب قدراته ومسئوليته ، يربهم على حب تحمل المسؤولية والشعور بها ، كما في قول رسولنا الكريم ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، والإمام راع ، ومسئول عن رعيته ، والرجل راعٍ في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها ومسئولة عن رعيته ، والخادم راعٍ في مال سيده ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » متفق عليه .

ونحن في مجتمعنا المعاصر ، نعاني أشد المعاناة من تهرب الشباب والموظفين من تحمل المسؤولية والخوف منها ، وإيثار السلبية والتوكل والاعتماد على الغير ولذلك يلزم تدريب الأبناء على تحملها منذ الصغر وعلى رب الأسرة أن يعلم أبناءه الصلاة ، ويحثهم عليها ويعاقبهم إذا تركوها لقول رسولنا الكريم ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع » رواه الإمام الترمذي .

للتدريب على أداء الصلاة منذ الصغر ، ويتم هذا التدريب تدريجيًا حسب قدرة الطفل على الفهم والاستيعاب ، وكذلك الدعوة للتفريق بين الإناث والذكور منهم في المضاجع ، حتى لا يحدث ما يُعرف باسم "العبث الجنسي" بين الأطفال حفاظًا على العفة والشرف

والعرض . ويدعوننا إسلامنا الخالد إلى بر الوالدين والعطف عليها ورعايتها والإحسان إليها ومعاملتها بالرفق والحسنى وينهانا عن العقوق والاعتداء على الآباء أو إهمالهم . وهي أمور أصبحنا في ميسس الحاجة إليها هذه الأيام التي تنتشر فيها النزعات المادية البغيضة ، ففرى ، للأسف الشديد ، بعض الأبناء يعتدون على الآباء والأمهات وقد يطردونهم من المنزل كي يتزوج فيه الابن العاق ، وقد يسرقون أموالهم ، وقد يعتدون عليهم بالضرب والإهانة ، ويهدينا الإسلام لحسن معاملة الآباء بقوله تعالى :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (النساء / 36) .

وكما في وقوله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ (النساء / 1) .

وكذلك الدعوة لصلة الأرحام والتواصل الأسري والتكافل الأسري يقول تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ ﴾ (الرعد / 21) .

وفي التوصية بالوالدين يقول القرآن الكريم :

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ (العنكبوت / 8) .

وقوله تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْئٍ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (الإسراء / 23-24) .

وقوله تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَاتَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴾ (لقمان / 14) .

ويدعوننا رسولنا الكريم إلى بر الوالدين والإحسان إليها ويدعوننا إلى صلة الرحم لقول

الرسول الكريم ﷺ : « ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليصل رحمه ، . . » متفق عليه . . . وقطع صلة الأرحام نوع من الإفساد والفساد والقسوة . وفي الدعوة لحب الأم والدعوة

لصحتها قول الرسول الكريم ﷺ لمن سأله من أحق الناس بصحبتني؟ قال: «أمك، قال: ثم من، قال: أمك، قال ثم من، قال: أمك، ثم من، قال: أبوك» متفق عليه .
وعندما سئل رسول الله ﷺ: يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: أمك ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم أذنك» رواه الإمام البخاري . تعبيراً عن التواصل الأسري . وفي ذلك قول رسولنا الكريم ﷺ: «من أحب أن يُيسر له في رزقه وينسأ له في أثره، فليصل رحمه» متفق عليه . وعلى المسلم أن يصل رحمه باستمرار، وأن يعيد وصلها إذا انقطعت لقول رسولنا الكريم ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها» رواه الإمام البخاري .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قال: قال رسول الله ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني، قطعه الله» متفق عليه .
هذا التماسك الأسري المستمد من الهدى الإسلامي الخالد لا نجده في الأسرة الغربية التي تطرد أبناءها إذا ما بلغوا سن السادسة عشر من العمر . ويصبح كل منهم مكلف بالإنفاق على نفسه .

وتبني العلاقة الزوجية على أساس وحدة أصل الإنسان الذكر والانثى، ولذلك لا ينبغي أن يقوم بينهما نفور أو صراع كما في قوله تعالى:
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (الأعراف / 189) .
وقوله كذلك في هذا المعنى:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (النحل / 72) .

ومن خلال الأسرة، يتم التكاثر، ويتم الحفاظ على بقاء الجنس البشري، وتستمر حياة الإنسان، كما في قوله تعالى:

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الْأَطْيَابِ﴾ (النحل / 72) .

ولابد أن يؤمن الإنسان بأنه يبدأ حياته كائنًا ضعيفًا هزيلًا ثم يرتد ضعيفًا ثانية كما في قوله تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ (الروم / 54) .

وذلك حتى لا يأخذ الغرور أو الصلف إبان سنوات الشباب والفتوة ، ويتوقع أنه سوف يصبح ضعيفاً كالآباء والأمهات ، وأن هذه سنة الحياة فلا يظلم ولا يفترى بقوته وصحته . وقوام الحياة الزوجية في الإسلام ، المودة ، والرحمة ، والشفقة ، والتعاطف ، والبر ، والإحسان ، والتعاون ، وتستهدف الحياة الزوجية تحقيق الاستقرار والسكينة والحب والدفء والحنان والتماسك والتساند والتكافل والتضامن كما في قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (الروم / 21) .

وكما في قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ (الروم / 21) .

والأسرة المسلمة ، كالأشأن في كل المجتمع الإسلامي ، تقوم على التعاون والأخذ والعطاء وتبادل الخبرات والنصح كما في قوله تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ (المائدة / 2) .

والعلاقة الاجتماعية ، في الإسلام ، تقوم على الشعور بالأخوة في الإسلام ، وفي الإيمان ،

كما في قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات / 10) .

كما أن الدين ، في الإسلام ، النصيحة لكافة المسلمين ، ومن باب أولى أن يكون النصح لأعضاء الأسرة الواحدة وكذلك المحبة لقول الرسول الكريم ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » متفق عليه .

وتربي الأسرة أبناءها على الشعور بالاعتزاز والفخر بالانتماء لأمة الإسلام ، خير أمة

أخرجت للبشرية جميعاً ، كما في قوله تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

(آل عمران / 110)

ويحرس الإسلام على توفير الرضاعة الطبيعية للطفل الصغير لمدة كافية لنموه ، وحمي عامان . ولقد أثبت الطب الحديث فائدة الرضاعة الطبيعية لصحة الطفل الجسمية والنفسية .

وكذلك لحماية الأم من الإصابة بسرطان الثدي وذلك اهتداء بقوله تعالى :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّمَ الرِّضَاعَةَ ﴾ (البقرة / 233)

والأم حين ترضع ابنها ، فإن لها حقاً لدى الأب كما في قوله تعالى :
﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَفَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ﴾ (الطلاق / 6) .

وحماية لأطفال الأسرة من التشرد والضياع والحرمان ، فإن الإسلام يكفل حق النفقة على العياب بحسب سعة الأب كما في قوله تعالى :

﴿ وَعَلَى الْوَالِدِ لَهُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة / 233) .

ويحيط الإسلام الأسرة بسياج متين من القيم الأخلاقية الرفيعة ، فينهى عن وصف محاسن المرأة لرجل إلا أن يحتاج ذلك لغرض شرعي كالزواج منها ، كما حرم الإسلام امتناع المرأة عن فراش زوجها إذا دعاها ، ولم يكن لديها عذر شرعي . وكذلك حرم صوم المرأة تطوعاً وزوجها حاضر إلا بإذنه ، كما نهى عن التفرقة في التعامل مع الأبناء أو عن تفضيل أحدهم على غيره حتى لا يدب في نفوسهم مشاعر الغيرة والحقد . ولقد أوصانا الإسلام الحنيف بالنساء خيراً ، وأدرك الإسلام طبيعة المرأة وخصائصها وفكرها وعاطفتها وتعرضها للانفعالات وخاصة في أوقات الحيض والنفاس ، وجاء في التوصية بالنساء لقوله تعالى :

﴿ وَعَايِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (النساء / 19) .

ويدعو الإسلام الحنيف الرجال ، عند التعدد ، بتوخي العدل والمساواة بين الزوجات كما في قوله تعالى :

﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ (النساء / 129) .

ويوصينا رسولنا الكريم ﷺ بالنساء خيراً كما في قوله ﷺ : « استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء » متفق عليه .

ويدعو إلى قبولها حتى وإن كان بها عوج "المرأة كالضلع إن أقمتهما كسرتها ، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج" . وقوله ﷺ : « لا يفرق مؤمن من مؤمنة ، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر » رواه الإمام مسلم .

وقول الرسول ﷺ : « إلا واستوصوا بالنساء خيراً فإنها هن عوان عندكم ، ليس تملكون منهم شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع

واضربوهم ضرباً غير مبرح ، فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهم سبيلاً ، إلا إن لكم على نساءكم حقاً ولنساءكم عليكم حقاً فحقوقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن « رواه الإمام الترمذي .

فالإسلام يرفع الأسرة رعاية متكاملة قبل تكوينها ، وطوال حياة أعضائها وينظم العلاقة بين أفرادها على أساس من العدل والحق والمودة والرحمة والشفقة والتعاون والتكافل والبر والإحسان .

المراجع :

- (1) القرآن الكريم .
- (2) صحيح الإمام مسلم .
- (3) صحيح الإمام البخاري .
- (4) صحيح الإمام الترمذي .
- (5) الشافعي ، محي الدين أبي زكريا ، يحيى بن شرف النووي ، (1970) ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ودار القلم ، بيروت ، لبنان .
- (6) عبد الباقي ، محمد فؤاد ، (1981) ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت .
- (7) كمال الدين عبد الغني المرسي ، (2002) الأسرة والرد على ما يخالف أحكامها وآدابها ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية / مصر .